

الإسلام حفظ حقوق الإنسان وضمن حق المساءلة لكل مسؤول



إن شريعة الإسلام مبنية بناءً متيناً حكماً لأنها من العزيز الحكيم الحميد فما من مصلحة في الدنيا والآخرة إلا وأرشدت إليه ودلت عليه، ولذا اعتنت الشريعة بحفظ الضرورات الخمس: حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، فحباها البشر لا تستقيم وأمورهم لا تنتظم إلا بحفظ هذه الضرورات، ليست هي من حقوق الإنسان التي كفلها له الإسلام «فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله وكل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وهذا موقف يبين قيمة الإنسان في الإسلام وأنه ليس بهيمة إنه إنسان سميع بصير جعل الله له حقاً ورأياً وكلمة: أتت ثياب من اليمن فوزعها أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه على الناس لكل مسلم ثوب وبقي ثوب لأمير المؤمنين قليبسه فوصل الثوب إلى ركبتيه فقال لابنه عبد الله : أعطني ثوبك الذي هو حصصك فاعطاه إياه فوصل عمر ثوبه بثوب ابنه عبد الله وليسهما وصعد يخطب في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس اسمعوا لما سوف أحدثكم عنه فيصرخ سلمان الفارسي: والله لا نسمع ولا نعي – رجل يقطع الخليفة أمير المؤمنين رجل فارسي ليس بقرشي ولا هاشمي ولا عربي ولا هو من قرابة الخليفة

فيقول عمر: ولم؟

فيرد سلمان: لأنك تلبس ثوبين وتلبسنا ثوباً واحداً، أين العدالة؟

فقال عمر: يا عبد الله: قم فأجب

فقال عبد الله والناس سكوت فقال: إن أبي رجل طويل لا يكفيه ثوب فاعطيته ثوبي، فوصله بثوبه وليسهما.

فهنا قال سلمان: يا أمير المؤمنين الآن قل نسمع ومر تطع.

نعم، إنها حقوق الإنسان إن من حقك أن تعيش محترماً في كلمتك وفي رأيك وفي بيتك وفي مالك، لا تعيش خوفاً ولا بطشاً ولا إرهاباً ولا تخويفاً وهذا ما كفله الإسلام لجميع المسلمين على حد سواء لا فرق بين أبيض وأسود ولا غني وفقير ولا كبير وصغير، الكل سواء في ميزان الإسلام.

قاله تعالى لا يضيع حق كل ذي حق وقد بعث رسله فينبوا الحقوق والواجبات وهاهو نبينا صلى الله عليه وسلم يقف في حجة الوداع ليذكر الناس بحقوقهم وواجباتهم فيقول: أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، وهي وصية سيكرها صلى الله عليه وسلم في آخر خطبته تأكيداً لها وإبرازاً لخطورة الاعتداء على الأموال والدماء فيوم عرفة هو يوم الإعلان عن حقوق الإنسان فيه أعلن أبو القاسم صلى الله عليه وسلم حق الإنسان في الحياة وفي الملكية، وفصل حقوق النساء وأنها إنسانة لها شأنها في المجتمع فهي تمثل نصف الأمة وتلد النصف الآخر إذا هي أمة كاملة كفل لها الإسلام حقوقها فلها حق العشرة الحسنة وحق التعليم وحق اختيار الزوج وغيرها من الحقوق.

إن الإسلام كفل للإنسان كل حقوقه فانظر لحزمة الكعبة فإن لها حرمة عظيمة ولكن حرمة المؤمن عند الله أشد حرمة من الكعبة.

لم ينفصل التوكل عن معاني قوة الإرادة وبذل الجهد إلا في عصور ضعف الإسلام

المسلم الحق يناى عن مواطن الهُون ويضرب في فجاج الأرض ابتغاء العزة والكرامة

التوكل الحق قرين الجهد المضني والإرادة المصممة ولم ينفرد التوكل عن هذه المعاني إلا في العصور التي تسُخِج فيها الإسلام، وأصبح بين أتباعه لها ولعبا ولما يجعل المسلم قويا أن يبتعد عن حياة الخلاعة والفجور، وأن يبالغ مسالك النزاهة والاستقامة فإن الرجل الخرب الذمة أو الساقط المروءة لا قوة له ولو ليس جلود السباع، ومشى في ركاب الملوك. وقد نصح الله قوم هود فأرشدهم إلى أسباب القوة الصحيحة، وكانوا عمالقة جبارين، فقال: «ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرس الله السماء عليكم من درارا ويذكركم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين».

واراد رسول الله أن يزين المؤمنين بالناس، وأن يجريهم بادائها، وأن يشرح لهم عظمة الإنسان عندما يفعل الخير ويرغم الشيطان ويسمو إلى المألا الأعلى فيضرب لهم هذا المثل في سياق حديث له، قال: «لما خلق الله الأرض جعلت تميد وتنكفا فارسانها بالحيال فاستقرت، فتعجب الملائكة من شدة الجبال فقالت: يا ربنا هل خلقت خلقاً أشد من الجبال؟ قال: نعم الحديد. قالوا: فهل خلقت خلقاً أشد من الحديد؟ قال: نعم، النار، قالوا: فقل خلقت خلقاً أشد من النار؟ قال: نعم، الماء قالوا: فهل خلقت خلقاً أشد من الماء؟ قال: نعم، الريح، قالوا: فهل خلقت خلقاً أشد من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم إذا تصدق صدقة بيمينه فأخفاها عن شماله» إن الإنسان، هذا الكائن العجيب، يعتبر سيدا لعناصر الكون كلها، يوازن أعضاها وأقسامها فبرحمه وبربو عليه، يوم يكون شخصاً قاضلاً ولكنه يلغى في الأرض والسما إذا اندحر عن الفضائل، والمثل الذي ذكره الحديث ليس إلا إبرازاً لقسوة الرجل الحسن وتصويرا لرسوخه وبقية عندما يسبق في ميدان الخير. ومن عناصر القوة أن يكون المسلم صريحاً، يواجه الناس بقلب مفتوح ومبادئ معروفة، لا يصانع على حساب الحق بما يفض من كرامته وكرامة أنصاره، بل يجعل قوته من قوة العقيدة التي يملؤها ويعيش لها. ولا يحيد عن هذه الصراحة أبداً في تقرير حقيقة ما. حدث أن كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات ابنه إبراهيم، فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم!! فقام رسول الله يخطب الناس، فقال: «إن الشمس والقمر لا يفسخان موت أحد ولا لحياتي ولكنهما آيتان من آيات الله تعالى يرهبهما عباده. فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة». ذلك أن الشخص الذي يحيا في الحقائق لا يتاجر بالأباطيل، فهو غني عنها، وصراحته دليل على ثروة عريضة من الشر، تفني صاحبها عن الدجل والاستغلال، وتقيم سيرته على ركائز ثابتة من الفضيلة والكمال. وقاعدة الأمر المعروف والنهي عن المنكر تنبثق من هذا السمو النفسي، لأنها تعتمد على مصارحة بما فرط منهم ابتغاء محود تثبت مكانة الصواب والخير.

والذي نريد توكيده هنا أن المسلم يجب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا ، وتروح بطانا.



■ **التعاسة النفسية والهوان الاجتماعي قد يجعلان**

الإنسان كثير التشاؤم قليل الإنتاج.. وواجبنا بذل

كل جهد للتخلص من قيودهما

■ **المسلم يجب أن ينكر بقوة عيوب المجتمع دون**

تهيب لكبير أو استحياء من قريب ولا تأخذه في الله

لومة لائم

أن يكون نقادة للعيوب الفاشية، جريئاً في الحملة عليها، لا تتهيب كبيراً ولا يستحي من قريب، ولا تأخذه في الله لومة لائم.. وقد كره الإسلام أن يضعف الرجل أمام العصاة من الكبراء، وأن يناديهم بالفاظ التكريم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قال الرجل للمنافق: يا سيد، فقد أغضب ربه». ماء وبرجحه الذر والهباء يوم يكون شخصاً ساقطاً. وإنها لجريمة مضاعفة أن ينتهك امرؤ الحرمات المصونة، ثم يستمع إلى من يجلولته لا إلى من يحقرونه. «ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء». وتحريم الإسلام للغيبة فيه محافظة على

أن تفصح مثله، وأن نشهر بين الناس به. وإن كان العيب الذي وجدناه جراً مستهتر أو معصية مجاهر، فهذا الذي يجب أن يقابل بكلمة الحق. تقرر أذنيه دون مبالاة، ولكي ما تكون هذه الكلمة خالصة ينبغي أن نتبعد عن مشاعر الشماتة وحب الأذى، وأن تقتزن بالرغبة المجردة في تغيير القبيح، وإصلاح الفرد والجماعة. وليس من هذا البتة أن نذكر العاصي يشر عند أعدائه لتقرب من قلوبهم، أو لتطعم من موائدهم، أو لتتظاهر بالبراءة من الخصال التي ذممتها فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يطعمه منها من جهنم، ومن كسى ثوباً برجل مسلم فإن الله يكسو منه من جهنم ومن قام برجل مسلم مقام سمعة ورياء فإن الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة». إن الغيبة شيمة الضعاف «وكل اغتيال جهد من لا جهده..».

والإسلام يكره أولئك الذين يعيشون في الدنيا أذنباً، تغلب عليهم طبائع الرلفي والتهافت على خيرات الآخرين، ويحبون أن يكونوا في هذه الحياة كالثعالب التي تقتات من فضلات الأسود.

إن المسلم أكبر من أن يربط كيانه بغيره على هذا النحو الوضع، بل يجب أن يناق عن مواطن الهون، وأن يضرب في فتاج الأرض يبتغي العزة والكرامة. وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب الجنة وخاللهم، وأصحاب النار وخاللهم، فعد فضائل القوة والكرامة والنبل في الأولين وقرن رذائل الهوان والاختلاس والعجز والتلاعب بالآخرين قال: «..أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم. وعفيف متعفف ذو عيال. وأهل النار: الخائن الذي لا يخفي له طمع وإن دق إلا خأنه. ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أمك ومالك. وذكر البخل والكذب، والشطثير الفعاش. وإن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد». على أن هناك أمورا قد تعرض للمسلم فينوء بها، وربما يهون في نفسه ما دامت مصاحبة له: فالتعاسة النفسية والهوان الاجتماعي قد يضغطان على الإنسان ضغطاً يُعده، ويجعله سبي التفكير، كثير التشاؤم، قليل الإنتاج، وواجب المسلم أن يبذل كل جهد للتخلص من هذه القيود الكثيرة، والخروج من مأزقها القابضة. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيز بربه من هذه المصائب الهامة «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك: من من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال». والصبر والرجاء، هما عدة اليوم والغد، ويتحمل المرء في ظلها المصائب الفادحة فلا يذل، بل يظل محصناً من نواحيه كلها، عالياً على الأحداث والغت لأنه مؤمن والمؤمن لا يضرع إلا إلى الله».

الوفود والمفاوضات التي ذهبت للتفاوض مع النبي (صلى الله عليه وسلم) تبين مدى الفشل الذي أصاب زعماء قريش في عدم حصولهم على التنازل الكلي عن الإسلام، الأمر الذي جعلها تلجأ إلى طلب الحصول على شيء من التنازل، ويلاحظ أن التنازل الذي طلبوه في المرة الأولى، أكبر مما طلبوه في المرة الثانية، وهذا يدل على تدرجهم في التنازل من الأكبر إلى الأصغر، عليهم يجدون أداتاً صاغية لدى قائد الدعوة، كما أنهم كانوا يغيرون الأشخاص المتفاوضين، فالذين تفاوضوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم في المرة الأولى غير الذين تفاوضوا معه في المرة الثانية، ما خلا الوليد بن المغيرة وذلك حتى لا تتكرر الوجوه، وفي ذات الوقت تنويع الكفاءات، والدوافع، والبررات «وعلى الدعاة اليوم الحذر من مثل هذه العروض، والاغراءات المادية، التي قد لا تعرض بطريق مباشر، فقد تأخذ شكلاً غير مباشر، في شكل وظائف عليا، أو عقود عمل مجزية، أو صفقات تجارية مربحة، وهذا ما تخطط له المؤسسات العالمية المشبوهة لصرف الدعاة عن دعوتهم وبخاصة القياديين منهم، وهناك تعاون تام في تبادل المعلومات بين هذه المؤسسات التي تعمل من مواقع متعددة لتدمير العالم الاسلامي» ولقد جاء في التقرير الذي قدمه ريتشارد ب. ميشيل أحد كبار العاملين في مجال الشرق الأوسط، لرصد الصحوه الاسلاميه، وتقديم النصح بكيفية ضريبها، جاء في هذا التقرير: وضع تصور لخطة جديدة يمكن من خلالها تصفية الحركات الاسلامية، فكان من بين فقرات هذا التقرير فقررة خاصة باغراء قيادات الدعوة، فاقترح لتحقيق ذلك الاغراء ما يلي:

أ – تعيين من يمكن اغراؤهم بالوظائف العليا، حيث يتم شغلهم بالمشروعات الاسلامية فارغة المضمون، وغيرها من الأعمال التي تستنفد جهودهم، وذلك مع الاغداق عليهم أدبياً ومادياً، وتقديم تسهيلات كبيرة لذويهم، وبذلك يتم استهلاكهم محلياً، وفصلهم عن قواعدهم الجماهيرية.

ب – العمل على جذب ذوي الميول التجارية والاقتصادية، إلى المساهمة في المشروعات ذات الأهداف المشبوهة، التي تقام في المنطقة العربية لمصالح أعدائها.

ج – العمل على إيجاد فرص عمل، وعقود مجزية في البلاد العربية الغنية، الأمر الذي يؤدي إلى بدهم عن النشاط الإسلامي. فالمتدبر في النقاط الثلاث السابقة، يلاحظ أنها إجراءات مادية غير مباشرة، وبمنظرة فاحصة للعالم الإسلامي اليوم، نلاحظ أن هذه النقاط تنفذ بكل هدوء، فقد اشغلت المناصب العليا بعض الدعاة، واستهلكت بعض الدول العربية الغنية جمّاً غفيراً من الدعاة، وألهمت التجارة بعضهم.

النبي أعلن لقادة الشرك أنه لا تنازل ولو كان يسيراً عن مبادئ الدعوة

التفاوض والإغراء أثبتا فشلها في الحرب على الإسلام

أسلوب المجادلة ومحاولة التعجيز

كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أقام الحجج والبراهين والأدلة على صحة دعوته، وكان صلى الله عليه وسلم يتقن اختيار الأوقات، وانتهاز الفرص والمناسبات، ويقوى على الرد على الشبهات مهما كان نوعها، وقد استخدم في مجادلته مع الكفار أساليب كثيرة، استنتبطها من كتاب الله تعالى في إقامة الحجة العقلية، واستخدام الأقيسة المنطقية، واستحضار التفكير والتأمل، ومن الأساليب التي استخدمها صلى الله عليه وسلم مع كفار مكة:

1 – أسلوب المقارنة

وذلك بعرض أمرين: أحدهما هو الخير المطلوب الترغيب فيه، والآخر هو الشر المطلوب الترهيب منه، وذلك باستاتارة العقل، للتفكر في كلا الأمرين، وعاقبتهم الوصول –بعد المقارنة- إلى تفضيل الخير واتباعه:

قال تعالى: «أو من كان ميتاً فأخبرناه وَجَعَلْنَاهُ نَفْسًا زَكِيًّا وَمَشْيًى بِهِ فِي النَّاسِ كِمَن تَتَلَفَّرُ فِي ذَلَا الْأَمْرِينَ، وعاقبتهم الوصول للكافرين ما كانوا يفعلون» [الأنعام: 122].

قال ابن كثير في تفسيره: «هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتاً أي: في الضلالة هالِكاً حائرًا، فأحياه الله، أي: أحيا قلبه بالإيمان وهاده له ووفقه لاتباع رسله».

2 – أسلوب التقرير

وهو أسلوب يؤول بالمراء بعد المحاكمة العقلية، إلى الإقرار بالمطلوب، الذي هو مضمون الدعوة، قال تعالى: «أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خُلِقُوا مِنْ آَرْضٍ بَلْ لَا يوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ أَمْ لَهُمْ سَلْمٌ سَيَسْتَعِينُ فِيهِ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ أَمْ لَهُ النَّبَاتُ وَلَكُمُ الْبُنْيَانُ أَمْ تُنْشَأُهُمْ أُجْرًا فَمَهِنْ مَغْرَمٍ تُنْقَلُونَ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ إِنْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ أَمْ لَهُمْ الْغُيُورُ الْيَوْمَ هُمْ سَحْبَانَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٍ فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ» [الطور: 35-45].

قال ابن كثير في تفسيره: «هذا المقام في اثبات الربوبية وتوحيد الألوهية، فقال تعالى «أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ» أي أوجدوا من غير موجد؟ أم هم أوجدوا أنفسهم؟ أي لا هذا ولا هذا، بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً».

وهذه الآية في غاية القوة من حيث الحجة العقلية: لأن «وجودهم هكذا من غير شيء أمر ينكر منطق الفطرة ابتداء، ولا يحتاج إلى جدال كثير أو قليل، أما أن يكونوا الخالقين فالمتدبر في النقاط الثلاث السابقة، يلاحظ أنها إجراءات مادية غير مباشرة، وبمنظرة فاحصة للعالم الإسلامي اليوم، نلاحظ أن هذه النقاط تنفذ بكل هدوء، فقد اشغلت المناصب العليا بعض الدعاة، واستهلكت بعض الدول العربية الغنية جمّاً غفيراً من الدعاة، وألهمت البافطرة مضمون الأمر المقرر بداهة في العقل.